إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت (١)

رفع الملام عن شيخ الإسلام

ابن تيمية



بقلم

المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

رفع الملام عن شيخ الإسلام (١)

ابن تيمية

بقلم

المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة

مكتبة الإمام البخاري



الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٥٣١٠ / ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٧م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر - إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عمارة ، محمد

رفع الملام عن شيخ الإسلام : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية / بقلم محمد عمارة . - الإسماعيلية : مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧م .

٨٠ ص ؛ ٢٠ سم

تدمك ٨ ٥١ ٥٢٩١ ٩٧٧

١- الفقهاء ٥٨ و ٩٢٢

٢- ابن تيمية ، عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ، ١٢٣٠ - ١٢٨٤

أ - العنوان

مكتبة الإمام البخاري
للنشر والتوزيع

مصر - الإسماعيلية - ٤٦ شارع الجمهورية - الثلاثيني .. بعد الشلال
ت ٠٦٤٣٣٤٣٧٤٣ - جوال ٠١٢٣٦٧٦٧٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الله يدافع عن الذين آمنوا

مُقَدِّمَة

لأن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الإلهية الخاتمة ... والخالدة .. والعالمية .. كان التجديد فيها سُنَّة من سُنَن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل .

ذلك أن الشريعة وَضْع إلهيّ ثابت .. وحتى يستجيب « الثابت » لمستجدات الواقع « المتغير » وقفت هذه الشريعة عند الثوابت والكليّات والقواعد وفلسفة التشريع ... وتركت للفقه ـ الذي هو علم الفروع ـ التجديد في التفاصيل والجزئيّات التي تواكب المستجدات بالأحكام المستمدة من ثوابت الشريعة وقواعدها وكلياتها . ولهذه الحقيقة – التي تفردت بها شريعة الإسلام وأمته – كانت سلسلة المجددين في التاريخ الإسلامي مَعْلمًا من معالم هذا التاريخ ..

ولقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية واحدًا من أبرز الأعلام المجددين للإسلام .. بل لقد تميز تجديده بالجمع بين العلم والعمل .. بين الفكر والموقف .. بين اللسان والسنان .. بين الاجتهاد والجهاد .. فغدى نموذجًا متميزًا – إن لم يكن منفردًا . منذ عصره ، وحتى العصر الذي نعيش فيه ..

ولذلك لم يكن بدعًا أن يكون لابن تيمية دور ملحوظ في حركة التجديد والإحياء التي شهدتها أمتنا في عصرنا الحديث ..

وفي هذه الدراسة - الموجزة - التي نقدم بين يديها حقائق جديدة تضيء مساحات من فِكْر ابن تيمية غفل عنها الكثيرون .. بل لا نبالغ إذا قلنا : إن هذه الدراسة - على إيجازها - إنما هي رسالة إنصاف لهذا الإمام العظيم من المتعصبين له والمتعصبين ضده على حدّ سواء .

وزيادة في الفائدة ألحقت بها رسالة نفيسة من نفائس شيخ الإسلام والتي قال عنها العلامة السيد محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ : « هذه الرسالة من أنفس ما كتبه شيخ الإسلام وأنفعه في التأليف بين أهل القبلة .. » .

والله من وراء القصد .. نسأله العون والتوفيق .. إنه - سبحانه - أفضل مسئول وأكرم مجيب .

دكتور

محمد عمارة

القاهرة : ٢١ ربيع الآخر سنة ١٤٢٨ هـ

٨ مايو سنة ٢٠٠٧ م

طرف من حياة ابن تيمية وآثاره الفكرية :

هو : أبو العباس ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر ، النميري الحراني [٦٦١ - ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م] .

فيلسوف السَّلَفية وحكيمها ، الذي انتقل بها من مرحلة الوقوف عند النصّ وَحْدَهُ - وأحيانا ظاهر النَّصّ - إلى مرحلة فلسفة النَّصّ وعَقْلَنَتِهِ ..

وهو واحد من أَبرز المجددين في عصره ؛ إِذْ جَمَعَ إلى الاجتهاد ... والجهاد ضد الغُزَاة - بالفكر والسَّيف - تقديم « مشروع فكري » لتجديد الفكر الإسلامي والحضارة الإسلاميّة .

ولو أَنَّ المشروع التجديدي لابن تيمية قد وَجَد « الدَّولة .. والسياسة » التي تنهض به لتغيّر وجْه العالم الإسلامي ووجهته ، ولاختصرت الأمة من عُصور التَّراجع الحضاريّ عِدَّة قُرون !

ولقد ظلَّت لابن تيمية هذه المكانة المتميزة والمرموقة في حركة الإصلاح الإسلامي ، منذ عصره ، وحتى هذه اللَّحظات .

لقد كان ابن تيمية إمام النَّاقدين والنَّاقضين للفكر اليونانيّ - منطقًا وفلسفة - ومن أبرز الذين اجتهدوا لإبداع البديل الإسلامي لفكر اليونان - الذي تسرَّب إلى كثير من مَناحي الفكر الإسلامي - كما كان من أبرز الناقدين للفكر الباطني الغنوصي ، الذي مثل - مع الفكر اليوناني - جناحي التهديد لتميُّز الوسطية الإسلامية الجامعة .. والمتوازنة ..

* * * *

وُلِد ابن تيمية بحران .. ونبغ واشتهر بدمشق .. وتجلَّت آيات نبُوغه - في المناظرة والاستدلال والتفسير والإفتاء والتدريس - وهو دُون العشرين من عمره .. ولقد كان قلمه ولسانه فرسي رهان في التعبير عن إبداعات عقله الكبير .

وكانت فتاواه - التي خالف في بعضها عددًا من علماء عصره من أَسباب محنته ، وميادين جهاده ..

فَسُجن بمصر - بالقاهرة .. والإسكندرية - فلما أُطلق سراحه رحل إلى دمشق [سنة ٧١٢ هـ ، سنة ١٣١٢ م] ..

ثم أُعيد اعتقاله بها [سنة ٧٢٠ هـ ، سنة ١٣٢٠ م] ..

ثم أُطلق سراحه مرة أخرى .. ثم أُعيد اعتقاله إلى أن مات

معتقلاً بقلعة دمشق [٧٢٨ هـ ، ١٣٢٨ م] ..

ولقد حوّل ابن تيمية سجنه من مِحْنة لحريّته الشخصية إلى نعمة لِسياحاتِهِ الفكرية وإبداعاته في علومِ الإسلامِ ..

وعندما مات ، خرجت دمشق عن بَكْرة أبيها في جنازته ، تعبيرًا عن مكانته المتميزة والممتازة بين العلماء المجاهدين .

ولقد خلّف ابن تيمية من الآثار الفكرية ما يزيد على أربعة آلاف كراسة ، غطّت مختلف ميادين العلوم - من الأُصُول .. إلى الفقه .. إلى التفسير .. إلى الحديث .. إلى السياسة الشرعية .. إلى الفلسفة والمنطق .. إلى الفتاوى التي عكست إمامته لعصره .. وفقهه للواقع الذي عاش فيه .. واستشرافه لمستقبل أُمّته .. ووعيه بالمخاطر المُحْدِقة بدار الإسلام - وذلك غير الرُّدود الكثيرة التي كتبها على المخالفين .. مسلمين وغير مسلمين .

ومن هذه الآثار الفكرية ـ غير الفتاوى ـ :

١ـ « الإيمان » .

٢ـ « منهاج السُّنَّة النبوية » .

٣ـ « درء تعارض صريح المعقول مع صحيح المنقول » .

٤ـ « الرد على المنطقيين » .

٥ـ « نقض المنطق » .

٦ـ « الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان » .

٧ـ « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم » .

٨ـ « الصارم المسلول على شاتم الرسول » .

٩ـ « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » .

١٠ـ « السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية » .

١١ـ « نظرية العقد » .

١٢ـ « التوسّل والوسيلة » .

وعشرات الرسائل التي ردَّ فيها على المخالفين .

جهاده للصليبيّة والباطنيّة :

وكما جاهد ابن تيمية بالسّيف ضد الاختراق « الصّليبي ـ التتري » لديار الإسلام ، كذلك كان جهاده ـ بالقلم واللسان ـ لتحصين العقل المسلم ضد الاختراق الفكري الذي تمثل في الباطنية الغنوصية وفي العقلانية اليونانية اللادينية .. وأيضًا ضد الجمود والتقليد .. والبدع والخرافات ..

وعلى امتداد التاريخ ـ منذ عصره وحتى الآن ـ كان ولايزال

واحدًا من أبرز الملهمين لدعوات الإصلاح والتجديد على امتداد عالم الإسلام ..

النظرات الجزئية والمميزة لمشروع ابن تيمية التجديدي :

ولقد كانت النظرات الجزئية والمجتزئة لهذا المشروع التجديدي المتكامل الذي أبدعه شيخ الإسلام ابن تيمية ، والتي غفل أصحابها عن رؤية المعالم المتكاملة لهذا المشروع .. كانت وراء سوء الفهم وسوء الظن الذي وُوجِهَ به هذا الإمام العظيم .. سواء من بعض معاصريه .. أو حتى في العصر الذي نعيش نحن فيه ! ..

نعم .. لقد كان ابن تيمية - ومَشْروعه الفكريّ التجديديّ - ولايزال في حاجة ماسة إلى « العين اللَّامة » التي تحيط بمعالمه الكاملة ، والتي تفقهه في ضوء العصر الذي اكتمل فيه ، والتي تميز فيه بين « المنهج » وبين « التطبيقات » ، وبين « الأصول .. الثوابت » وبين « الفروع .. المتغيرة » .. وذلك إنصافا لهذا الإمام العظيم من المُتَعَصِّبين له والمُتَعَصِّبين ضده جميعًا ! ..

وحتى تنقشع السُّحب عن عبقريته الإسلامية فيعود إلى موقعه المناسب من إمامة الصحوة الإسلامية المعاصرة ، مع

غيره من أَقرانه ومن تلاميذه الأئمة الأعلام ..

لقد ارتفعت الكثير من « سحب الأوهام » حول فِكْرِ ابن تيمية ، فحَجبت - أَوْ كادت - حقائق فِكْر هذا الإمام العظيم .. حتى ظَنَّهُ البعض :

- عَدُوًّا للعقل .. وكارثة على العقلانية ! ..

- وضيّق الصَّدر بالخلاف .. يُكَفِّرُ المخالفين ! ..

- حتى رأينا - في واقعنا الراهن - من يُسمّي نفسه « فيلسوف العلمانية » ينعت شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه إمام الرجعية .. وزعيم الإرهابيين !! ..

نعم .. حَدَث كل هذا الخَلْط وسُوء الفهم - مع افتراض حُسْن النية - من غيبة الرؤية المتكاملة لفكر ابن تيمية ومشروعه التجديدي ، وفقهه في ضوء العصر الذي عاش فيه .. والتحديات التي واجهت العقل المسلم في ذلك التاريخ ..

ابن تيمية والعقلانية المؤمنة :

إن خصوم ابن تيمية لم يفقهوا ما أبدعه في العقلانية الإسلامية المتميزة .. وما قدَّمه من « نظرية » متكاملة في علاقة التكامل بين المعقول والمنقول .. ذلك الإبداع الذي

مَثَّلَ « ديوانًا في العقلانية المؤمنة » .. والذي نشير إلى عنوانه في هذه السُّطور ، التي يقول فيها :

« إنَّ ما عُرف بصريح العقل لا يُتصوَّر أن يُعارضه منقولٌ صحيح قط .. وقد تأملتُ ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة شبهات فاسدة يُعلم بالعقل بطلانها ، بل يُعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع . وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار ، كمسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك .

ووجدت ما يُعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط ، بل السمع الذي يُقال إنه يُخالفه إما حديث موضوع أو دلالة ضعيفة فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرّد عن معارضة العقل الصريح ، فكيف إذا خالفه صريح المعقول ؟

ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول ، بل يخبرون بمحارات العقول ، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه ، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته[١] .

---

(١) ابن تيمية : [بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول] ج١ ص ٨٣ طبعة القاهرة سنة ١٣٢١هـ

والقول كلما كان أفسد في الشرع كان أفسد في العقل ، فالحق لا يتناقض ، والرسل إنما أخبرت بحق ، والله فطر عباده على معرفة الحق ، والرسل بعثت بتكميل الفطرة لا بتغيير الفطرة .

قال الله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت : ٥٣] . فأخبر أنه سيريهم الآيات الأفقية والنفسية المبينة لأن القرآن الذي أخبر به عباده حق ، فتتطابق الدلالة البرهانية القرآنية والبرهانية العيانية ، ويتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول .. »[١] .

ابن تيمية ومسألة التحسين والتقبيح :

وكثيرون – من خصوم ابن تيمية ومن أنصاره – يظنون أن الرجل لم يكن من القائلين بالتحسين والتقبيح العقليين ، بحسبان أن ذلك هو قول المعتزلة ، الذين وقف ابن تيمية من بعض آرائهم موقف الناقد . ولو قرأ هؤلاء وهؤلاء ما كتبه ابن تيمية في التحسين والتقبيح بالعقل لانقشعت عنهم هذه

(١) ابن تيمية [منهاج السُّنَّة النبوية] ج ١ ص ٨٢ . طبعة القاهرة سنة ١٣٢١ هـ .

الظنون والأوهام . فلقد كان يَرَى أن هذا القول هو قول جمهور أهل السُّنَّة والجماعة .. وفي ذلك قال :

« وأكثر الطُّوائف على إثبات الحُسن والقُبح العقليين .. وهذا قول الحنفية ، ونقلوه أيضًا عن أبي حنيفة [٨٠ - ١٥٠ هـ ٦٩٩ - ٧٦٧ م] نفسه ، وهو قول كثير من المالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، كأبي الحسن التميمي [٣٧١ هـ] وأبي الخطاب ، وغيرهما من أئمة أصحاب أحمد [١٦٤ - ٢٤١ هـ ٧٨٠ - ٨٥٥ م] وكأبي علي ابن هريرة [٣٤٥ هـ] وأبي بكر القفال الشاشي [٣٦٥ هـ] وغيرهما من الشافعية . وكذلك من أصحاب مالك [٩٣ - ١٧٩ هـ ٧١٢ - ٧٩٥ م] وكذلك أهل الحديث ، كأبي نصر السجزي [٤٤٤ هـ] وأبي القاسم سعد بن علي الزَّنجاني [سنة ٤٧١ هـ] وغيرهما .

بل هؤلاء ذكروا أن نفي ذلك هو من البدع التي حدثت في الإسلام في زمن أبي الحسن الأشعري [٢٦٠ - ٣٢٤ هـ ٨٧٤ - ٩٣٦ م] لما ناظر المعتزلة في القدر بطريق الجهم بن صفوان [١٢٨ هـ ٧٤٥ م] ونحوه من

أئمة الجبر ، فاحتاج إلى هذا النفي .

قالوا : وإلا فنفي الحُسن والقُبح العقليين مُطلقًا لم يَقُلْهُ أحدٌ من سلف الأمة ولا أئمتها ، بل ما يؤخذ من كلام الأئمة والسلف في تعليل الأحكام وبيان حكمة الله في خلقه وأمره ، وبيان ما فيما أمر الله به من الحُسن الذي يُعلم بالعقل وما في مناهيه من القُبح المعلوم بالعقل ؛ يُنافي قول النفاة ..

والحُسن والقُبح من أفعال العباد يرجع إلى كون الأفعال نافعة لهم وضارة لهم ، وهذا مما لا ريب فيه أنه يُعرف بالعقل ، ولهذا اختار الرازي [٥٤٤ - ٦٠٦ هـ ١١٥٠ - ١٢١٠م] في آخر أمره أن الحُسن والقُبح العقليين ثابتان في أفعال العباد . وأما إثبات ذلك في حقِّ الله تعالى فهو مبنيّ على معنى محبة الله ورضاه ، وغضبه وسخطه ، وفرحه بتوبة التائب ، ونحو ذلك .

وأما العقل ، فأخصُّ صفات العقل عند الإنسان أن يعلم الإنسان ما ينفعه ويفعله ، ويعلم ما يضره ويتركه . والمراد بالحسن هو النافع ، والمراد بالقبيح هو الضار . فكيف

يقال : إن عقلَ الإنسان لا يُمَيِّزُ بين الحسن والقبيح ؟ وهل أعظم تفاضل العقلاء إلا بمعرفة هذا من هذا ؟ بل وجنس الناس يميل إلى من يتصف بالصفات الجميلة ، وينفر عمن يتصف بالقبائح ، فذاك يميل جنس الإنسان إلى سمع كلامه ورؤيته ، وهذا ينفر عن رؤيته وسمع كلامه ..

إنَّ العقل يحب الحق ويلتذُّ به ، ويحب الجميل ويلتذُّ به ، وإنَّ محبة الحمد والشكر والكرم هي من العقليات .. وإن للإنسان قوتين : قوة علمية فهي تحب الحق ، وقوة عملية فهي تحبُّ الجميل ، والجميل هو الحَسَن ، والقَبيح ضده .. »[١] .

نعم .. هكذا تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن قدرة العقل على التحسين والتقبيح .. فأزال أوهامًا متراكمة في « عقول » خصومه وأنصاره أجمعين ! .. فهلا أعادوا قراءته ؟! .. وهلا فَقِهُوا عباراته الجميلة والعميقة التي يقول فيها :

« إن جنس الناس يميل إلي من يتصف بالصفات الجميلة ،

---

(١) ابن تيمية [كتاب الرد على المنطقيين] ص ٤٢٠ - ٤٢٢ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٣ . طبعة دار المعرفة - بيروت - .

وينفر عمن يتصف بالقبائح .. وإن العقل يحب الحق ويلتذ به ، ويحب الجميل ويلتذ به .. وإن للإنسان قوتين : قوة علمية فهي تحب الحق ، وقوة عملية فهي تحب الجميل ، والجميل هو الحسن ، والقبيح ضده .. وهل أعظم تفاضل العقلاء إلا بمعرفة هذا من هذا ؟ .. فكيف يقال : إن عقل الإنسان لا يميز بين الحسن والقبيح ؟! ..

ابن تيمية ومسألة التأويل :

وكثيرون ـ من خصوم ابن تيمية .. ومن أنصاره ـ هم الذين توهموا رفضه للتأويل ، بتعميم وإطلاق .. ولو أنهم فقهوا موقف الرجل لعلموا موقفه من هذه القضية الشائكة .. وهو موقف متوازن وموضوعي .. يقول فيه :

« والتأويل المقبول ما دلّ على مراد المتكلم .. فالمتأوّل إذا لم يكن مقصوده معرفة مراد المتكلم كان تأويله للفظ بما يحتمله من حيث الجملة في كلام من تكلم بمثله من العرب هو من باب التحريف والإلحاد ، لا من باب التفسير وبيان المراد .

وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس الحقيقة التي أخبر عنها ، وذلك في حق الله هو كنه ذاته

وصفاته التي لا يعلمها غيره .. ولهذا قال السلف : إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وإن علمنا تفسيره ومعناه .

وكذلك الصحابة والتابعون ، فسروا جميع القرآن ، وكانوا يقولون : إن العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به ، وإن لم يعلموا كيفية ما أخبر به الله عن نفسه ، وكذلك لا يعلمون كيفيات الغيب ، فإن ما أعده الله لأوليائه من النعيم لا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر .

وأما من قال : إن التأويل الذي هو تفسيره وبيان المراد به لا يعلمه إلا الله ، فهذا ينازعه فيه عامة الصحابة والتابعين الذين فسروا القرآن كله ، وقالوا إنهم يعلمون معناه .

والآيات التي ذكر الله فيها أنها متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله ، إنما نفى عن غيره عِلْمَ تأويلها لا عِلْمَ تفسيرها ومعناها ... »[1] .

ابن تيمية ومسألة التكفير :

وفي قضية التكفير لمن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً

---

(١) ابن تيمية [بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول] ج ١ ص ١١٥ - ١٢٠ .

رسول الله ـ كان ابن تيمية ـ ككل أئمة أهل السُّنَّة والجماعة ـ شديد الحذر والتحذير من التكفير ـ على خلاف ما يتوهم الذين لم يفقهوا حقيقة موقف الإسلام من هذه القضية .. التي يتحدث عنها ابن تيمية في حسم ووضوح فيقول :

« والذي نختاره أن لا نُكَفِّرُ أحدًا من أهل القبلة ، والدليل عليه أن نقول : المسائل التي اختلف أهل القبلة فيها مثل : أن الله تعالى هو عالم بالعلم أو بالذات ؟ وأنه تعالى هل هو موجد لأفعال العباد أم لا ؟ وأنه هو متحيز ؟ وهل هو في مكان وجهة ؟ وهل هو مرئي أم لا ؟ لا تخلو إمّا أن تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها أو لا تتوقف . والأول باطل . إذ لو كانت معرفة هذه الأصول من الدين لكان الواجب على النبي ﷺ أن يطالبهم بهذه المسائل ، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها ، فلما لم يطالبهم بهذه المسائل ، بل ما جرى حديث من هذه المسائل في زمانه عليه السلام ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم : علمنا أنه لا يتوقف صحة الإسلام على معرفة هذه الأصول ،

وإذا كان كذلك : لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحًا في حقيقة الإسلام ، وذلك يقتضي الامتناع عن تكفير أهل القبلة .

إن الكفر حكم شرعي ، متلقًى عن صاحب الشريعة ؛ والعقل قد يُعلم به صواب القول وخطؤه ؛ وليس كل ما كان خطأً في العقل يكون كفرًا في الشرع ، كما أنه ليس كل ما كان صوابًا في العقل تجب في الشرع معرفته .. وإنما الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما أخبر به أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه .. وقد نقل عن الشافعي [١٥٠- ٢٠٤ هـ ٧٦٧ - ٨٢٠ م] رضي الله تعالى عنه أنه قال : لا أرد شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية[1] ، فإنهم يعتقدون حلّ الكذب .

أما أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه فقد حكى الحاكم [٣٣٤هـ ٩٤٥ م] صاحب [المختصر] في كتاب

---

(١) الخطابية : من غلاة الشيعة ، أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب - مولى بني أسد - وهم مشبهة ، ادعوا نبوة الأئمة ، وأنه لابد من رسول صامت مع الرسول الناطق ، وأن محمدا ﷺ هو الناطق ، وعلي هو الصامت ؛ ولقد ثاروا بالكوفة إبان الدولة العباسية ، وقمعت ثورتهم سنة ١٤٣هـ .

[المنتقى] عن أبي حنيفة أنه لم يكفّر أحدًا من أهل القبلة .

وحكى أبو بكر الرازيّ عن الكرخي [٢٦٠ - ٣٤٠ هـ ٨٧٤ - ٩٥٢ م] وغيره مثل ذلك .. »[1] .

هكذا أعلن ابن تيمية رفضه تكفير أحد من أهل القبلة ، الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، لأن مسائل الخلاف التي اختلف فيها المسلمون لا يتوقف عليها الإيمان بأصول الدين ، وأركان الإسلام ، التي جاءت بها النصوص قطعية الدلالة والثبوت .

وأعلن أن هذا الموقف هو موقف أئمة المذاهب المعتبرة في فكر الإسلام .

وبعد هذه الإشارات إلى مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية ، وخياراته الفكرية والفقهية ، ندرك الحاجة الماسة إلى إعادة قراءة تراثه قراءة واعية ومتكاملة ، لا لإنصافه فقط - وتلك فريضة فكرية - وإنما لإعادة مشروعه التجديدي كي يفعل فِعْلَه المناسب في يقظة الأمة الإسلامية من جديد .

* * * *

---

(١) ابن تيمية [بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول] ج ١ ص ٥٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ .

أئمة الصحوة المعاصرة وابن تيمية

ويزيد من أهمية هذه القضية – إنصاف الرجل .. والدعوة إلى الاستفادة من تراثه الفكري– أن **أئمة الصحوة الإسلامية وأعلام الإحياء الإسلاميّ الحديث قد وقفوا هذا الموقف من تراث شيخ الإسلام .**

الأمر الذي يدلّ على أن تراثه الغني قد كان حاضرًا وفاعلاً في فِكْرِ هؤلاء الأئمة الأعلام ..

١- الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله :

فالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ – ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ – ١٩٠٥ م] قد دعا إلى إنصاف ابن تيمية من افتراءات خصومه ..

ووصفه بأنه « **أعلم الناس بالسُّنَّة وأشدهم غيرة على الدين** » . وذلك عندما تحدث عن الظلم الذي لحق عددًا من أئمة الإسلام وعلمائه .. من مثل حجة الإسلام الغزالي [٤٥٠ – ٥٠٥ هـ ، ١٠٥٨ – ١١١١ م] الذي أُحرقت كتبه في « غرناطة » في عصر المرابطين [٤٨٣ - ٥٤١ هـ ١٠٩٠ – ١١٤٧ م] .

وشيخ الإسلام ابن تيمية ، الذي قال عنه الأستاذ الإمام : « **لقد قال قوم يعدّون أنفسهم مسلمين في ابن تيمية - وهو أعلم الناس بالسُّنّة وأشدهم غيرة على الدين - : إنه ضال مضل . وجاء على أثر هؤلاء مقلّدون يملئُون أفواههم بهذه الشتائم ، وعليهم إثمها وإثم من يقفوهم بها إلى يوم القيامة ..** »(١) .

٢. الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله :

أما عن تأثير ابن تيمية في حركة الإصلاح الإسلاميّ بالمغرب العربيّ .. فإن **الشيخ محمد البشير الإبراهيمي** [١٣٠٦ - ١٣٨٥ هـ ١٨٨٩ - ١٩٦٥ م] يشير إليه ، في مواطن عديدة من آثاره الفكرية ..

فيقول عن الأئمة الأعلام الذين ألهموا رواد هذا الإصلاح الإسلاميّ الحديث ، والذين أناروا الطريق ، في مواجهة الفكر الخرافي المتحالف مع الاستعمار والسحق الحضاريّ :

« **ومازلنا نلمح وراء كل داجية في تاريخ الإسلام نجمًا**

---

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج ٣ ص ٣٥٩ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة دار الشروق - ١٩٩٣م .

يشرق ، ونسمع بعد كل خفتة فيه صوتا يخرق ، من عالِمٍ يعيش شاهدًا ، ويموت شهيدًا ، ويترك بعده ما تتركه الشمس من شفق يهدي السارين المدلجين إلى حين ..

وما علمنا فيمن قرأنا أخبارهم ، وتقفينا آثارهم من علماء الإسلام مثلاً شرودًا في شجاعة النزال بعد الحافظ الربيع بن سالم ، عالم الأندلس .. ولا علمنا فيهم مثالاً في شجاعة الرأي العام أكمل من الإمام أحمد بن تيمية .. فقد شَنَّهَا حربًا شعواء على البدع والضلالات أقوى ما كانت رسوخًا وشموخًا ، وأكثر أتباعًا وشيوخًا يظاهرها الولاة القاسطون ، ويؤازرها العلماء المتساهلون والمتأوّلون . وقد ادخر الله لهذا العصر الذي تأَذَّنَ فجر الإسلام فيه بالانبلاج ، الواحد الذي بذَّ الجميع في شجاعة الرأي والفكر وقوّة العلم والعقل ، وجرأة اللسان والقلب ، وهو محمد عبده فَهَزَّ النفوس الجامدة ، وحَرَّكَ العقول الراكدة ، وتَرَكَ دويًا مَلأَ سمع الزمان ، وسيكون له شأن .. [١] .

---

(١) [آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي] ج ٤ ص ١١٣ ، جمعها وقدم لها : د . أحمد طالب الإبراهيمي ، طبعة بيروت سنة ١٩٩٧ م .

ثم يُنبّه الشيخ البشير الإبراهيمي - من موقع الرجل الثاني في حركة الإصلاح الإسلامي - بالجزائر - إلى دور فكر شيخ الإسلام ابن تيمية - مع فكر الشيخ محمد عبده - في تبلور بواكير هذا الإصلاح الديني - الذي واجهت به جمعية العلماء المسلمين بالجزائر - تحالف « الطرقية والاستعمار الفرنسي » ؛ فيقول :

« إنهم : قبل أن يظهر الإصلاح بهذا الوطن ، وتلهج الألسنة باسمه ، كانوا يلعنون ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م] وابن حزم [٣٨٤ - ٤٥٦ هـ ٩٩٤ - ١٠٦٤ م] ومحمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] وغيرهم من أئمة الإسلام الذين جهروا بإنكار البدع ، فلما ظهر الإصلاح بالمظهر الفرديّ كان أمضى سلاح يقاومونه به قولهم : « تيمي ، عبداويّ » ! نسبة إلى ابن تيمية ومحمد عبده ! .. »(١) .

ثم يتحدث عن دور مجلة [المنار] للشيخ محمد رشيد رضا [١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م] وكتب ابن تيمية وابن القيم [٦٩١ - ٧٥١ هـ ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م] والشوكاني [١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ ١٧٦٠ - ١٨٣٤ م] في

---

(١) المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٧ .

هذا الإصلاح الديني ، فيقول :

« ويضاف إلى هذا قراءة [المنار] .. واطلاع بعض الناس على كتب المصلحين القيمة ؛ ككتب ابن تيمية وابن القيم والشوكاني .. فهذا عامل له أثره في التمهيد للدعوة الإصلاحية »[١] .

٣- الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله :

أما رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر الإمام عبد الحميد بن باديس [١٣٠٨ - ١٣٥٩ هـ ١٨٨٩ - ١٩٤٠م] فإنه يعيد نشر محاضرة الأستاذ محمد كرد علي [١٢٩٢ - ١٣٧٢ هـ ١٨٧٦ - ١٩٥٣ م] عن الشيخ طاهر الجزائري [١٢٦٨ - ١٣٣٨ هـ ١٨٥٢ - ١٩٢٠ م] .. « والذي ولع في صباه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكانت جمهرة الفقهاء في عصره تكفّر ابن تيمية تعصُّبًا وتقليدًا لمشايخهم ، فلم ير الشيخ طاهر الجزائري لتحبيبهم بابن تيمية إلا نَشر كتبه بينهم من حيث لا يدرون ! ، فكان

---

(١) المصدر السابق . ج ١ ص ١٨١ .

يستنسخ رسائله وكتبه ويرسلها مع من يبيعها في سوق الوراقين بأثمان معتدلة ، لتسقط في أيدي بعضهم فيطالعونها ، وبذلك وصل إلى غرضه من نشر آراء .. شيخ الإسلام التي هي لباب الشريعة »[1] .

٤- العلامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله :

وكما رأت الدعوة الإصلاحية - ببلاد المغرب الإسلامي - في فِكرِ شيخ الإسلام ابن تيمية « لباب الشريعة الإسلامية » .. كذلك رأت فيه حركة الصحوة الإسلامية ببلاد المشرق الإسلامي - في القارة الهندية - أبرز المجددين في التاريخ الوسيط لأمة الإسلام .

ففي دراسة **العلامة أبي الأعلى المودودي** [١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م] لتاريخ تجديد الدين الإسلامي وإحيائه .. عرض لمشاريع التجديد وإنجازات المجددين .. وأجرى دراسة نقدية - ومقارنة - بين هؤلاء المجددين .. وفي دراسته المقارنة بين حجة الإسلام أبي حامد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ -

---

(١) [ابن باديس : حياته وآثاره] ج ٤ ص ١٥٦ ، ١٥٧ . جمعها وقدم لها : د . عمار الطالبي . طبعة الجزائر سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .

١١١١ م] وبين شيخ الإسلام ابن تيمية ، رجّح المودودي كِفَّة شيخ الإسلام على كفة حجة الإسلام .. وكتب يقول :

« لقد تخللت عمل الغزالي التجديدي - مع عظمته التي أكسبته صفة « حجة الإسلام » - نقائص من الجهة العلمية والفكرية ، تقسم على ثلاثة أنواع :

نوع منها كان مأتاه ضعف الإمام في علم الحديث .

والنوع الثاني : كان منشؤه استيلاء العلوم العقلية على ذهنه .

والنوع الثالث : وقع في أعماله لِمَيَلانه المتطرف إلى التصوّف .. » .

وبعد هذا النقد لمشروع الغزالي التجديدي ، تحدّث المودودي عن مشروع ابن تيمية لتجديد الدين وإحيائه ، فرآه « قد وفق في توسيع دائرة العمل الذي تركه الإمام الغزالي إلى وجه أحسن وأتم .. فهو :

أولاً : انتقد المنطق والفلسفة اليونانية انتقادًا أشدّ وأدقّ مما فعله الإمام الغزالي ..

وثانيًا : أقام من الأدلة والبراهين على استقامة عقائد الإسلام وأحكامه وقوانينه ما كان يفوق أدلة الإمام الغزالي

سَوَغَانًا في العقل وأحوى منها لروح الإسلام .

وثالثا : لم يجتزئْ برفع النكير على التقليد الجامد فحسب بل ضرب المثل بمزاولة الاجتهاد على طريقة المجتهدين من القرون الأولى .

رابعا : جاهد البدع وتقاليد الشرك وضلال العقائد والأخلاق جهادًا قويًّا عنيفًا ، ولاقى في سبيل ذلك أعظم المصائب . ومضافًا إلى هذا العمل التجديديّ ، جاهد بالسيف همجية التتار ووحشيتهم .. » .

ولا ينسى المودوديّ - مع هذا الإعجاب بشيخ الإسلام ابن تيمية - أن ينبه على الثغرة التي أضعفت مشروعه التجديديّ .. وهي افتقاره إلى « السلطة السياسية » التي تضعه في الممارسة والتطبيق .. فابن تيمية - برأي المودودي - « لم يوفق لبعث حركة سياسية في المسلمين ، يحدث بها الانقلاب في نظام الحكم ، وتنتقل مقاليد الحكم والسلطة من أيدي الجاهلية إلى أيدي الإسلام » !![1] .

---

(١) أبو الأعلى المودودي [موجز تاريخ إحياء الدين وتجديده] ص ٧٣ ، ٧٦ - ٧٩ . ترجمة : محمد كاظم سباق . طبعة بيروت سنة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م .

ابن تيمية إمام دعوات الاستنارة في عصرنا الحديث

هكذا ، غدا المشروع التجديدي لشيخ الإسلام ابن تيمية عاملاً فاعلاً في حركة الإحياء والإصلاح والتجديد الإسلامي في عصرنا الحديث وواقعنا المعاصر .. سواء منها « الإصلاح الفكري » أو « الإصلاح الحركي » .. ولقد استوت في ذلك سائر بلاد الإسلام .. من محمد عبده ، مهندس المشروع الإحيائي لليقظة الإسلامية الحديثة . إلى رشيد رضا ، الذي حمّل [المنار] فكر هذه اليقظة إلى مختلف بقاع العالم الإسلامي على امتداد نحو أربعين عاما ..

إلى أئمة الإصلاح الإسلامي ببلاد المغرب الإسلامي : الشيخ عبد الحميد بن باديس .. والشيخ محمد البشير الإبراهيمي ..

إلى شبه القارة الهندية - بمشرق العالم الإسلامي - عند العلامة المودودي .. ومن قبله ولي الله الدهلوي [١١١٠ - ١١٧٦ هـ ١٦٩٩ - ١٧٦٢ م] .

هكذا رأينا الرجل الذي مات مظلومًا مسجونًا قد غرس في ساحة العقل الإسلامي بذور الكلمات « الواعية ـ الطيبة » التي

بارك الله فيها ، فغدت المظلة التي يستظل بها زعماء الإصلاح الديني على امتداد عالم الإسلام ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۞ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٢٤] .

لقد مثَّل ابن تيمية هذا الصرح الخالد في تاريخ الفكر الإسلامي .. وجسَّد هذا العطاء المتجدد في مناهج الإحياء والتجديد لفكر هذه الأمة ، لأسباب كثيرة .. **منها :**

١ـ **إخلاصه للإسلام وأمته وحضارته ودياره ..** وتكريس كل حياته وجميع طاقاته لهذه الرسالة العظمى ..

حتى لقد غدا ـ في هذا الميدان ـ عَلَمًا من أعلام العلماء الذين هم ورثة الأنبياء .. العلماء العدول ، الذين ينفون ـ بالوسطية الإسلامية الجامعة ـ عن هذا الدين « تحريف الضالين وانتحال المبطلين » ..

٢ـ **واحتضانه تراث الإسلام ، على اختلاف مذاهب أئمة الإسلام ..** دونما تعصب لمذهب دون الآخر ، أو تخندق في فرقة دون سواها .. فلقد كان مدافعًا عن الحقِّ – كما أراه

ذلك اجتهاده - وناقدًا للخطأ - كما أراه ذلك ، اجتهاده .. مع الدعوة إلى (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) الذين خالف اجتهاده اجتهاداتهم .. فكان هذا العنوان الذي اتخذه لأحد كتبه منهاجًا في تعامله مع الأئمة الذين تركوا بصماتهم على الفكر الإسلامي ؛ على امتداد تاريخ الإسلام ، وتنوع المذاهب التي ذهب إليها هؤلاء الأئمة الأعلام .

٣- **وبلوغه - على درب الإخلاص لمشروعه التجديديّ - إلى درجة « الجهاد » لتحقيق « الاجتهاد »** ! .. فلم يكن ابن تيمية مجرد فقيه .. وفيلسوف .. **وإنما كان « مُجَدِّدًا » لفكر الأمة وحياتها وواقعها الذي تعيش فيه** .. وفي هذا الميدان قدَّم حياته وحريته قربانًا في هذا « الجهاد » .

٤- **كذلك ، كان شيخ الإسلام ابن تيمية مرابطًا على ثغور الإسلام** .. لا يكتفي بالجهاد الداخلي - في عقل الأمة وواقعها - وإنما كان شديد البصر والبصيرة بالمخاطر الخارجية التي تحدق بحضارة الإسلام وديار الإسلام .. وفي هذا الميدان كان شديد الوعي « بفقه الأولويات » ، **حتى لقد حمل السلاح وحارب الصليبيين والتتار تحت قيادة النظم**

السياسية التي مات في سجونها !! .. فضرب لنا مثلاً في الوعي الحضاري بفقه الأولويات لازلنا في حاجة إلى فقهه حتى هذه اللحظات .

وإذا كانت الدراسات التي كتبت عن ابن تيمية – فضلاً عن تراثه الفكري – إنما تكوّن مكتبة غنية متكاملة في فكرنا الإسلامي .. فإن ما أشارت إليه هذه الصفحات من مواقفه – التي غفل عن حقيقتها الكثيرون من خصومه ومن أنصاره – وخاصة موقفه من العقل وعلاقته بالوحي والشرع والنقل .. وموقفه من التأويل .. ورفضه القاطع لتكفير من يشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله .. وكذلك حضوره في دعوات الإحياء الإسلامي الحديثة وعند حركات هذا الإحياء .. إنما تمثل نماذج لميادين تحتاج إلى دراسات وفقه ووعي بما قدم ابن تيمية في هذه الميادين .

إن هذا الإمام العظيم ، الذي مَثَّلَتْ سَلَفِيَّتُه أصالةَ الفكر الإسلامي ، هو ذاته الذي غدا إمامًا لدعوات العقلانية والاستنارة في عصرنا الحديث .. ولذلك ، كان حرامًا – وإجرامًا – أن يقول عنه ذلك الذي يُسمّي نفسه « فيلسوف العلمانية » : « إنه مصدر الرجعية وزعيم الإرهاب » ! ..

وأن تقول عنه طريقة صوفية تَمْلأُ بطونَها بِسُحْتِ الدنانير النفطية : إنه الخبيث المكابر ناقص العقل .. الذي في قلبه مرض .. المكذب لرب العالمين .. الخارج من الدين ، الذي استبدل عقيدة التثليث بعقيدة التوحيد » !! ..

حرام أن يقال هذا الفحش على هذا الشيخ من شيوخ الإسلام !!

تلك صفحات أردنا بها رفعَ الملام عن شيخ الإسلام ابن تيمية .. والدعوة إلى فقه جديد لتراث هذا الإمام العظيم .. ليعود هذا التراث إلى الفعل والتأثير في حياتنا الفكرية المعاصرة .. كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء .

والله نسأل أن ينفع بهذه الدراسة .. إنه ـ سبحانه ـ خير مسئول وأكرم مجيب .

دكتور

محمد عمارة

جمع كلمة المسلمين

قاعدة أهل السنة والجماعة

(في رحمة أهل البدع والمعاصي ومشاركتهم في صلاة الجماعة واتقاء تكفيرهم)

الامام شيخ الاسلام ووعل الاعلام، تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى وتقدس (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ۝ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ۝ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ۝ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ۝ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس وغيره: تبيض وجوه اهل السنة والجماعة وتسود وجوه اهل البدعة والفرقة (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ۝ وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون)

وفي الترمذي عن أبي امامة الباهلي عن النبي ﷺ في الخوارج « انهم كلاب اهل النار » وقرأ هذه الآية (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال الامام احمد: صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه. وقد خرجها مسلم في صحيحه، وخرج البخاري طائفة منها. قال النبي ﷺ « يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية — وفي رواية — يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان »

صورة الصفحة الأولى من مطبوعة رشيد رضا

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح، وكان قد ارتد وكان يكذب على النبي ﷺ ويقول: أنا كنت أعلمه القرآن، ثم تاب وأسلم وبايعه النبي ﷺ على ذلك

وإذا قيل: سب الصحابة حق لآدمي. قيل: المستحل لسبهم كالرافضي يعتقد ذلك ديناً، كما يعتقد الكافر سب النبي ﷺ ديناً. فإذا تاب وصار يحبهم ويثني عليهم ويدعو لهم محا الله سيئاته بالحسنات.

ومن ظلم إنساناً فقذفه أو اغتابه أو شتمه ثم تاب قبل الله توبته. لكن إن عرف المظلوم مكنه من أخذ حقه، وإن قذفه أو اغتابه ولم يبلغه ففيه قولان للعلماء، هما روايتان عن أحمد: أصحهما أنه لا يعلمه أني اغتبتك، وقد قيل بل يحسن إليه في غيبته كما أساء إليه في غيبته. كما قال الحسن البصري: كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته. فإذا كان الرجل قد سب الصحابة أو غير الصحابة وتاب فإنه يحسن إليهم بالدعاء لهم والثناء عليهم بقدر ما أساء إليهم والحسنات يذهبن السيئات. كما أن الكافر الذي كان يسب النبي ﷺ ويقول إنه كذاب إذا تاب وشهد أن محمداً رسول الله الصادق المصدوق وصار يحبه ويثني عليه ويصلي عليه كانت حسناته ماحية لسيئاته والله تعالى (يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) وقد قال تعالى (حم ۞ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ۞ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير)

هذا آخر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، قدس الله روحه ونفعنا والمسلمين بعلومه

[المنار] هذه الرسالة من أنفس ما كتبه شيخ الإسلام وأنفعه في التأليف بين أهل القبلة الذين فرق الشيطان بينهم بأهواء البدع وعصبيات المذاهب، على كونه أقوى أنصار السنة برهاناً، وأبلغ المنتقدين للبدع قلماً ولساناً، ومنهاجه في الرد على المبتدعة: بيان الحق بالأدلة، وحكم ما خالفه من شرك وكفر وبدعة، مع عدم الجزم بتكفير شخص معين له شبهة تأويل، فضلاً عن تكفير فرقة تقيم أركان الدين. جزاه الله أفضل الجزاء على إرشاده ونصحه للمسلمين،

صورة الصفحة الأخيرة من مطبوعة رشيد رضا

جمع كلمة المسلمين

قاعدة أهل السنة والجماعة

في رحمة أهل البدع والمعاصي ومشاركتهم

في صلاة الجماعة وإنشاء تكفيرهم

للإمام شيخ الإسلام وشيخ الأعلام
تقي الدين أحمد ابن تيمية رحمه الله

هذه الرسالة من أنفس ما كتبه شيخ الإسلام وأنفعه في
التأليف بين أهل القبلة الذين فرق الشيطان بينهم
بأهواء البدع وعصبيات المذاهب، على كونه أقوى أنصار
السنة برهانًا، وأبلغ المنفّرين للبدع قلمًا ولسانًا، ومنهاجه
في الرد على المبتدعة: بيان الحق بالأدلة، وحكم ما خالفه من
شرك وكفر وبدعة، مع عدم الجزم بتكفير شخص معين له شبهة
تأويل، فضلًا عن تكفير فرقة تقيم أركان الدين. فجزاه الله
أفضل الجزاء على إرشاده ونصحه للمسلمين.

محمد رشيد رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

١ـ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ • وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ • وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ • وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ • يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٢ ـ ١٠٦] .

٢ـ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ : « تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالْفُرْقَةِ » .

---

(١) اعتمدنا على المطبوعة التي نشرها السيد رشيد رضا رحمه الله في « مجلة المنار » ج ٤ / مجلد ٣١ ص (٢٨١ ـ ٢٨٩) . وقمنا بضبط النص وتقسيمه لفقرات .

٣- ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٦ - ١٠٧] .

٤- وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْخَوَارِجِ أَنَّهُمْ كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ ؛ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٦] .

٥- قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : « صَحَّ الْحَدِيثُ فِي « الْخَوَارِجِ » مِنْ عَشَرَةِ أَوْجُهٍ » ، وَقَدْ خَرَّجَهَا مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ » وَخَرَّجَ الْبُخَارِيُّ طَائِفَةً مِنْهَا .

٦- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يُحَقِّرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ ، وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ » . وَفِي رِوَايَةٍ : « يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ » .

٧- وَ « الْخَوَارِجُ » : هُمْ أَوَّلُ مَنْ كَفَّرَ الْمُسْلِمِينَ . يُكَفِّرُونَ

بِالذُّنُوبِ ، وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي بِدْعَتِهِمْ ، وَيَسْتَحِلُّونَ دَمَهُ وَمَالَهُ . وَهَذِهِ حَالُ أَهْلِ الْبِدَعِ ؛ يَبْتَدِعُونَ بِدْعَةً وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهَا .

٨- وَ « **أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ** » : يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَيَتَّبِعُونَ الْحَقَّ ، وَيَرْحَمُونَ الْخَلْقَ .

٩- **وَأَوَّلُ بِدْعَةٍ حَدَثَتْ فِي الْإِسْلَامِ** : بِدْعَةُ « **الْخَوَارِجِ** » وَ« **الشِّيعَةِ** » ؛ حَدَثَتَا فِي أَثْنَاءِ خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَعَاقَبَ الطَّائِفَتَيْنِ .

١٠- أَمَّا « **الْخَوَارِجُ** » : فَقَاتَلُوهُ فَقَتَلَهُمْ .

١١- وَأَمَّا « **الشِّيعَةُ** » : فَحَرَّقَ غَالِيَتَهُمْ بِالنَّارِ ، وَطَلَبَ قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ ، فَهَرَبَ مِنْهُ ، وَأَمَرَ بِجَلْدِ مَنْ يُفَضِّلُهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ .

١٢- وَرُوِيَ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ قَالَ : « خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ » ، وَرَوَاهُ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ فِي « صَحِيحِهِ » .

❖❖❖❖

فصل

١٣- وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ : أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ : « **الْجُمَعَ** » وَ « **الأَعْيَادَ** » ، وَ « **الْجَمَاعَاتِ** » . لَا يَدَعُونَ « الْجُمُعَةَ » ، وَ « الْجَمَاعَةَ » ، كَمَا فَعَلَ أَهْلُ الْبِدَعِ مِنْ « الرَّافِضَةِ » وَغَيْرِهِمْ .

١٤- فَإِنْ كَانَ الْإِمَامُ مَسْتُورًا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ بِدْعَةٌ وَلَا فُجُورٌ صُلِّي خَلْفَهُ « الْجُمُعَةَ » وَ « الْجَمَاعَةَ » ، بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ . وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ : إِنَّهُ لَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ إِلَّا خَلْفَ مَنْ عُلِمَ بَاطِنُ أَمْرِهِ ، بَلْ مَا زَالَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ بَعْدِ نَبِيِّهِمْ يُصَلُّونَ خَلْفَ الْمُسْلِمِ الْمَسْتُورِ .

١٥- وَلَكِنْ إِذَا ظَهَرَ مِنَ الْمُصَلِّي بِدْعَةٌ أَوْ فُجُورٌ ، وَأَمْكَنَ الصَّلَاةُ خَلْفَ مَنْ يُعْلَمُ أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ أَوْ فَاسِقٌ ، مَعَ إِمْكَانِ الصَّلَاةِ خَلْفَ غَيْرِهِ ، فَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ يُصَحِّحُونَ صَلَاةَ الْمَأْمُومِ . وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ . وَهُوَ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَحْمَدَ .

١٦- وَأَمَّا إِذَا لَمْ يُمْكِنْ الصَّلَاةُ إِلَّا خَلْفَ الْمُبْتَدِعِ أَوْ الْفَاجِرِ

كَالْجُمُعَةِ الَّتِي إِمَامُهَا مُبْتَدِعٌ أَوْ فَاجِرٌ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ جُمُعَةٌ أُخْرَى : فَهَذِهِ تُصَلَّى خَلْفَ الْمُبْتَدِعِ وَالْفَاجِرِ عِنْدَ عَامَّةِ « أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ » . وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمْ ، مِنْ أَئِمَّةِ « أَهْلِ السُّنَّةِ » بِلَا خِلَافٍ عِنْدَهُمْ .

١٧ـ وَكَانَ بَعْضُ النَّاسِ إِذَا كَثُرَتْ الْأَهْوَاءُ يُحِبُّ أَنْ لَا يُصَلِّيَ إِلَّا خَلْفَ مَنْ يَعْرِفُهُ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِحْبَابِ ، كَمَا نُقِلَ ذَلِكَ عَنْ أَحْمَدَ ؛ أَنَّهُ ذَكَرَ ذَلِكَ لِمَنْ سَأَلَهُ . وَلَمْ يَقُلْ أَحَد : إِنَّهُ لَا تَصِحُّ إِلَّا خَلْفَ مَنْ أَعْرِفُ حَالَهُ .

١٨ـ وَلَمَّا قَدِمَ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ مَرْزُوقٍ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ ـ وَكَانَ مُلُوكُهَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مُظْهِرِينَ لِلتَّشَيُّعِ وَكَانُوا بَاطِنِيَّةً مَلَاحِدَةً ، وَكَانَ بِسَبَبِ ذَلِكَ قَدْ كَثُرَتِ الْبِدَعُ وَظَهَرَتْ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ـ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ لَا يُصَلُّوا إِلَّا خَلْفَ مَنْ يَعْرِفُونَهُ لِأَجْلِ ذَلِكَ[١] ، ثُمَّ بَعْدَ مَوْتِهِ فَتَحَهَا مُلُوكُ السُّنَّةِ قَبل

---

(١) أي : لأجل كون ملوكهم الفاطميين ودعاتهم ملاحدة لا شيعة مبتدعة فقط . « محمد رشيد رضا » .

صَلَاحِ الدِّينِ وَظَهَرَتْ فِيهَا كَلِمَةُ السُّنَّةِ الْمُخَالِفَةُ لِلرَّافِضَةِ ثُمَّ صَارَ الْعِلْمُ وَالسُّنَّةُ يَكْثُرُ بِهَا وَيَظْهَرُ .

١٩ـ فَالصَّلَاةُ خَلْفَ الْمَسْتُورِ جَائِزَةٌ بِاتِّفَاقِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ قَالَ : إِنَّ الصَّلَاةَ مُحَرَّمَةٌ أَوْ بَاطِلَةٌ خَلْفَ مَنْ لَا يُعْرَفُ حَالُهُ فَقَدْ خَالَفَ إِجْمَاعَ « أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ » .

٢٠ـ وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ رضوان الله عليهم يُصَلُّونَ خَلْفَ مَنْ يَعْرِفُونَ فُجُورَهُ . كَمَا صَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ مِنْ الصَّحَابَةِ خَلْفَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَكَانَ قَدْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَصَلَّى مَرَّةً الصُّبْحَ أَرْبَعًا وَجَلَدَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ عَلَى ذَلِكَ .

٢١ـ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَغَيْرُهُ مِنْ الصَّحَابَةِ يُصَلُّونَ خَلْفَ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ . وَكَانَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابعون يُصَلُّونَ خَلْفَ ابْنِ أَبِي عُبَيْدٍ ، وَكَانَ مُتَّهَمًا بِالْإِلْحَادِ وَدَاعِيًا إلَى الضَّلَالِ .

❁ ❁ ❁ ❁

فصل

٢٢ـ **وَلَا يَجُوزُ تَكْفِيرُ الْمُسْلِمِ بِذَنْبٍ فَعَلَهُ وَلَا بِخَطَإٍ أَخْطَأَ فِيهِ** . كَالْمَسَائِلِ الَّتِي تَنَازَعَ فِيهَا أَهْلُ الْقِبْلَةِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

٢٣ـ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَجَابَ هَذَا الدُّعَاءَ وَغَفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ خَطَأَهُمْ .

٢٤ـ وَ « الْخَوَارِجُ » الْمَارِقُونَ ـ الَّذِينَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقِتَالِهِمْ ـ قَاتَلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَحَدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَاتَّفَقَ عَلَى قِتَالِهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ .

٢٥ـ وَلَمْ يُكَفِّرْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ بَلْ جَعَلُوهُمْ مُسْلِمِينَ مَعَ قِتَالِهِمْ .

٢٦- وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ عَلِيٌّ حَتَّى سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ ، وَأَغَارُوا عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَاتَلَهُمْ لِدَفْعِ ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ لَا لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ ، وَلِهَذَا لَمْ يَسْبِ حَرِيمَهُمْ وَلَمْ يَغْنَمْ أَمْوَالَهُمْ .

٢٧- وَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ثَبَتَ ضَلَالُهُمْ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ لَمْ يُكَفَّرُوا مَعَ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِقِتَالِهِمْ ، فَكَيْفَ بِالطَّوَائِفِ الْمُخْتَلِفِينَ الَّذِينَ اشْتَبَهَ عَلَيْهِمُ الْحَقُّ ، فِي مَسَائِلَ غَلِطَ فِيهَا مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ ؟

٢٨- فَلَا يَحِلُّ لِإِحدى هَذِهِ الطَّوَائِفِ أَنْ تُكَفِّرَ الْأُخْرَى وَلَا تَسْتَحِلَّ دَمَهَا وَمَالَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ فِيهَا بِدْعَةٌ مُحَقَّقَةٌ ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ الْمُكَفِّرَةُ لَهَا مُبْتَدِعَةً أَيْضًا ؟

٢٩- وَقَدْ تَكُونُ بِدْعَةُ هَؤُلَاءِ أَغْلَظَ ، وَالْغَالِبُ أَنَّهُمْ جَمِيعًا جُهَّالٌ بِحَقَائِقِ مَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ .

٣٠- وَالْأَصْلُ : أَنَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ مُحَرَّمَةٌ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، لَا تَحِلُّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

٣١- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا خَطَبَهُمْ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا » .

٣٢- وَقَالَ : « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ » .

٣٣- وَقَالَ « مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » .

٣٤- وَقَالَ « إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا ، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ » ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ ! فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : « إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ » .

٣٥- وَقَالَ : « لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » .

٣٦- وَقَالَ « إِذَا قَالَ الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ ! فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا » .

وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا فِي الصِّحَاحِ .

٣٧- وَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ مُتَأَوِّلاً فِي الْقِتَالِ أَوْ التَّكْفِيرِ لَمْ يَكْفُرْ بِذَلِكَ .

٣٨- كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِحَاطِبِ[1] بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ! » . وَهَذَا فِي الصَّحِيحَيْنِ .

٣٩- وَفِيهِمَا أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ الْإِفْكِ : أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ الْحُضَيْرِ قَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ : « إِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ » وَاخْتَصَمَ الْفَرِيقَانِ ، فَأَصْلَحَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ .

٤٠- فَهَؤُلَاءِ الْبَدْرِيُّونَ فِيهِمْ مَنْ قَالَ لِآخَرَ مِنْهُمْ : « إِنَّكَ مُنَافِقٌ » ، وَلَمْ يُكَفِّرْ النَّبِيُّ ﷺ لَا هَذَا وَلَا هَذَا بَلْ شَهِدَ لِلْجَمِيعِ بِالْجَنَّةِ .

٤١- وَكَذَلِكَ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ قَتَلَ

---

(١) أي في شأن حاطب . « رشيد رضا » .

رَجُلًا بَعْدَ مَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَعَظَّمَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ لَمَّا أَخْبَرَهُ وَقَالَ : « يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْته بَعْدَ مَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ » وَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ أُسَامَةُ : تَمَنَّيْت أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْت إِلَّا يَوْمَئِذٍ .

٤٢ـ وَمَعَ هَذَا لَمْ يُوجِبْ عَلَيْهِ قَوَدًا وَلَا دِيَةً وَلَا كَفَّارَةً ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُتَأَوِّلًا ظَنَّ جَوَازَ قَتْلِ ذَلِكَ الْقَائِلِ لِظَنِّهِ أَنَّهُ قَالَهَا تَعَوُّذًا .

٤٣ـ فَهَكَذَا السَّلَفُ قَاتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ أَهْلِ « الْجَمَلِ وَصِفِّينَ » وَنَحْوِهِمْ وَكُلُّهُمْ مُسْلِمُونَ مُؤْمِنُونَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : ٩] .

٤٤ـ فَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ مَعَ اقْتِتَالِهِمْ وَبَغْيِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ إخْوَةٌ مُؤْمِنُونَ وَأَمَرَ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ .

٤٥ـ وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ مَعَ الِاقْتِتَالِ يُوَالِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا

مُوَالَاةَ الدِّينِ ، لَا يُعَادُونَ كَمُعَادَاةِ الْكُفَّارِ ، فَيَقْبَلُ بَعْضُهُمْ شَهَادَةَ بَعْضٍ وَيَأْخُذُ بَعْضُهُمُ الْعِلْمَ عَنْ بَعْضٍ وَيَتَوَارَثُونَ وَيَتَنَاكَحُونَ وَيَتَعَامَلُونَ بِمُعَامَلَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ مَعَ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْقِتَالِ وَالتَّلَاعُنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

٤٦- وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتَهُ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ، فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ ، وَسَأَلَهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ ، وَسَأَلَهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يُعْطَ ذَلِكَ .

وَأَخْبَرَ : أَنَّ اللَّهَ لَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ يَغْلِبُهُمْ كُلَّهُمْ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا ، وَبَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا .

٤٧- وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ : لَمَّا نَزَلَ قوله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قَالَ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قَالَ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام : ٦٥] . قَالَ : هَاتَانِ أَهْوَنُ » .

٤٨- هَذَا مَعَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالْجَمَاعَةِ وَالائْتِلافِ وَنَهَى عَنْ الْبِدْعَةِ وَالاخْتِلافِ وَقَالَ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

٤٩- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ » .

٥٠- وَقَالَ : « الشَّيْطَانُ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنْ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ » .

٥١- وَقَالَ : « الشَّيْطَانُ ذِئْبُ الإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ وَالذِّئْبُ إِنَّمَا يَأْخُذُ الْقَاصِيَةَ وَالنَّائِيَةَ مِنْ الْغَنَمِ » .

٥٢- فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا صَارَ فِي مَدِينَةٍ مِنْ مَدَائِنِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُصَلِّيَ مَعَهُمْ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ ، وَيُوَالِيَ الْمُؤْمِنِينَ وَلا يُعَادِيَهُمْ ، وَإِنْ رَأَى بَعْضَهُمْ ضَالًّا أَوْ غَاوِيًا وَأَمْكَنَ أَنْ يَهْدِيَهُ وَيُرْشِدَهُ فَعَلَ ذَلِكَ ، وَإِلاَّ فَلا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا .

٥٣- وَإِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُوَلِّيَ فِي إِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الأَفْضَلَ وَلاَّهُ ، وَإِنْ قَدَرَ أَنْ يَمْنَعَ مَنْ يُظْهِرُ الْبِدَعَ وَالْفُجُورَ مَنَعَهُ .

٥٤- وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ فَالصَّلَاةُ خَلْفَ الْأَعْلَمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ الْأَسْبَقِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَفْضَلُ .

٥٥- كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الصَّحِيحِ : « يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِنًّا » .

٥٦- وَإِنْ كَانَ فِي هَجْرِهِ لِمُظْهِرِ الْبِدْعَةِ وَالْفُجُورِ مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ هَجَرَهُ كَمَا هَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

٥٧- وَأَمَّا إِذَا وُلِّيَ غَيْرُهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَلَيْسَ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ خَلْفَهُ مَصْلَحَةٌ شَرْعِيَّةٌ كَانَ تَفْوِيتُ هَذِهِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ جَهْلًا وَضَلَالًا وَكَانَ قَدْ رَدَّ بِدْعَةً بِبِدْعَةٍ .

٥٨- حَتَّى إِنَّ الْمُصَلِّيَ الْجُمُعَةَ خَلْفَ الْفَاجِرِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي إِعَادَتِهِ الصَّلَاةَ وَكَرِهَهَا أَكْثَرُهُمْ حَتَّى قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي رِوَايَةِ عَبْدُوسٍ : مَنْ أَعَادَهَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ . وَهَذَا أَظْهَرُ

الْقَوْلَيْنِ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا يُعِيدُونَ الصَّلَاةَ إِذَا صَلَّوْا خَلْفَ أَهْلِ الْفُجُورِ وَالْبِدَعِ وَلَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ تَعَالَى قَطُّ أَحَدًا إِذَا صَلَّى كَمَا أُمِرَ بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُعِيدَ الصَّلَاةَ .

٥٩- وَلِهَذَا كَانَ أَصَحُّ قَوْلَيِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ مَنْ صَلَّى بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ لَا يُعِيدَ حَتَّى الْمُتَيَمِّمِ لِخَشْيَةِ الْبَرْدِ وَمَنْ عَدِمَ الْمَاءَ وَالتُّرَابَ إِذَا صَلَّى بِحَسَبِ حَالِهِ وَالْمَحْبُوسُ وَذَوُوا الْأَعْذَارِ النَّادِرَةِ وَالْمُعْتَادَةِ وَالْمُتَّصِلَةِ وَالْمُنْقَطِعَةِ لَا يَجِبُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يُعِيدَ الصَّلَاةَ إِذَا صَلَّى الْأُولَى بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِهِ .

٦٠- وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ الصَّحَابَةَ صَلَّوْا بِغَيْرِ مَاءٍ وَلَا تَيَمُّمٍ لَمَّا فَقَدَتْ عَائِشَةُ عِقْدَهَا وَلَمْ يَأْمُرْهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْإِعَادَةِ .

٦١- بَلْ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ كَانَ يَتْرُكُ الصَّلَاةَ جَهْلًا بِوُجُوبِهَا لَمْ يَأْمُرْهُ بِالْقَضَاءِ . فَعَمْرٌو وَعَمَّارٌ لَمَّا أَجْنَبَا وَعَمْرٌو لَمْ يُصَلِّ وَعَمَّارٌ تَمَرَّغَ كَمَا تَتَمَرَّغُ الدَّابَّةُ لَمْ يَأْمُرْهُمَا بِالْقَضَاءِ . وَأَبُو ذَرٍّ لَمَّا كَانَ يُجْنِبُ وَلَا يُصَلِّي لَمْ يَأْمُرْهُ بِالْقَضَاءِ .

٦٢- وَالْمُسْتَحَاضَةُ لَمَّا اسْتُحِيضَتْ حَيْضَةً شَدِيدَةً مُنْكَرَةً مَنَعَتْهَا الصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ لَمْ يَأْمُرْهَا بِالْقَضَاءِ .

٦٣- وَالَّذِينَ أَكَلُوا فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لِأَحَدِهِمُ الْحَبْلُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَبْلِ الْأَسْوَدِ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالْقَضَاءِ .

٦٤- وَكَانُوا قَدْ غَلِطُوا فِي مَعْنَى الْآيَةِ ، فَظَنُّوا أَنَّ قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة : ١٨٧] هُوَ الْحَبْلُ ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ » . وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالْقَضَاءِ .

٦٥- وَالْمُسِيءُ فِي صَلَاتِهِ لَمْ يَأْمُرْهُ بِإِعَادَةِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الصَّلَوَاتِ .

٦٦- وَالَّذِينَ صَلَّوْا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِمَكَّةَ وَالْحَبَشَةِ وَغَيْرِهِمَا بَعْدَ أَنْ نُسِخَتْ بِالْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَصَارُوا يُصَلُّونَ إِلَى الصَّخْرَةِ حَتَّى بَلَغَهُمُ النَّسْخُ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِإِعَادَةِ مَا صَلَّوْا . وَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ أَعْذَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ لِتَمَسُّكِهِمْ

بِشَرْعٍ مَنْسُوخٍ .

٦٧ـ وقد اختلف العُلَماءُ في خِطَابِ اللَّه ورسوله هل يثبت حُكْمه في حَقِّ العبيد قبل البلاغ ؟ على ثلاثة أقوال ، في مذهب أحمد وغيره . قيل : يَثْبُت ، وقيل : لا يَثْبُت ، وقيل : يَثْبُت المبتدأ دون الناسخ . والصَّحِيح مَا دَلَّ عليه القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] ، وقوله : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] .

٦٨ـ وفي « الصَّحِيحَين » : « مَا أَحَدٌ أَحَبُّ إليه العُذر من اللَّهِ من أَجْلِ ذلك أَرْسَلَ الرُسل مُبَشِّرين وَمُنْذِرين » .

٦٩ـ فالمتأول والجاهل المَعْذُور لَيْسَ حُكْمُه حُكم المُعَاند والفَاجِر بل قد جَعَلَ اللَّه لِكُلِّ شيء قدرًا .

❁ ❁ ❁ ❁

فصل

٧٠- أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى :

* شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

* وَأَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ يَجْزِمُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَقْطَعُونَ بِهِ وَلَا يَرْتَابُونَ .

* وَكُلُّ مَا عَلِمَهُ الْمُسْلِمُ وَجَزَمَ بِهِ فَهُوَ يَقْطَعُ بِهِ وَإِنْ كَانَ اللَّهُ قَادِرًا عَلَى تَغْيِيرِهِ .

٧١- فَالْمُسْلِمُ يَقْطَعُ بِمَا يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ وَيَقْطَعُ بِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ . وَإِذَا قَالَ الْمُسْلِمُ : أَنَا أَقْطَعُ بِذَلِكَ ، فَلَيْسَ مُرَادُهُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَغْيِيرِهِ .

٧٢- بَلْ مَنْ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ إِمَاتَةِ الْخَلْقِ وَإِحْيَائِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ وَعَلَى تَسْيِيرِ الْجِبَالِ وَتَبْدِيلِ الْأَرْضِ غَيْرِ الْأَرْضِ فَإِنَّهُ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ .

٧٣- وَالَّذِينَ يَكْرَهُونَ لَفْظَ الْقَطْعِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَمْرِو بْنِ مَرْزُوقٍ هُمْ قَوْمٌ أَحْدَثُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِهِمْ .

٧٤ـ وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الشَّيْخُ يُنْكِرُ هَذَا ، وَلَكِنْ أَصْلُ هَذَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَثْنُونَ فِي الْإِيمَانِ .

٧٥ـ كَمَا نُقِلَ ذَلِكَ عَنِ السَّلَفِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ : « أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . وَيَسْتَثْنُونَ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ : « صَلَّيْت إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

٧٦ـ وَمُرَادُ السَّلَفِ مِنْ ذَلِكَ الِاسْتِثْنَاءِ : إِمَّا لِكَوْنِهِ لَا يَقْطَعُ بِأَنَّهُ فَعَلَ الْوَاجِبَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَيَشُكُّ فِي قَبُولِ اللَّهِ لِذَلِكَ فَاسْتَثْنَى ذَلِكَ ، أَوْ لِلشَّكِّ فِي الْعَاقِبَةِ ، أَوْ يَسْتَثْنِي لِأَنَّ الْأُمُورَ جَمِيعَهَا إِنَّمَا تَكُونُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الفتح : ٢٧] مَعَ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِأَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ أَوْ لِئَلَّا يُزَكِّيَ أَحَدُهُمْ نَفْسَهُ .

٧٧ـ وَكَانَ أُولَئِكَ يَمْتَنِعُونَ عَنِ الْقَطْعِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ جُهَّالٌ فَكَرِهُوا لَفْظَ الْقَطْعِ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَرَوَوْا فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ مَكْذُوبَةً .

٧٨- وَكُلُّ مَنْ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ عَنْ أَصْحَابِهِ أَوْ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ كَرِهَ لَفْظَ الْقَطْعِ فِي الْأُمُورِ الْمَجْزُومِ بِهَا فَقَدْ كَذَبَ عَلَيْهِ . وَصَارَ الْوَاحِدُ مِنْ هَؤُلَاءِ يَظُنُّ أَنَّهُ إِذَا أَقَرَّ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ فَقَدْ أَقَرَّ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فِي الدِّينِ .

٧٩- وَهَذَا جَهْلٌ وَضَلَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالِ لَمْ يَسْبِقْهُمْ إِلَى هَذَا أَحَدٌ مِنْ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا كَانَ شَيْخُهُمْ أَبُو عَمْرٍو ابْنُ مَرْزُوقٍ وَلَا أَصْحَابُهُ فِي حَيَاتِهِ وَلَا خِيَارُ أَصْحَابِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ يَمْتَنِعُونَ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ مُطْلَقًا بَلْ إِنَّمَا فَعَلَ هَذَا طَائِفَةٌ مِنْ جُهَّالِهِمْ .

٨٠- كَمَا أَنَّ طَائِفَةً أُخْرَى زَعَمُوا أَنَّ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَوْبَتَهُ وَإِنْ تَابَ وَرَوَوْا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « سَبُّ أَصْحَابِي ذَنْبٌ لَا يُغْفَرُ » .

٨١- وَهَذَا الْحَدِيثُ كَذِبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَرْوِهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَلَا هُوَ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِهِم الْمُعْتَمَدَةِ ، وَهُوَ مُخَالِفٌ لِلْقُرْآنِ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

٨٢ـ هَذَا فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَتُبْ .

٨٣ـ وَقَالَ فِي حَقِّ التَّائِبِينَ : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

٨٤ـ فَثَبَتَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ : أَنَّ كُلَّ مَنْ تَابَ ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

٨٥ـ وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ سَبَّ الرَّسُولَ مِنَ الْكُفَّارِ الْمُحَارِبِينَ ، وَقَالَ : هُوَ سَاحِرٌ أَوْ شَاعِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَوْ مُعَلَّمٌ أَوْ مُفْتَرٍ ؛ وَتَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

٨٦ـ وَقَدْ كَانَ طَائِفَةٌ يَسُبُّونَ النَّبِيَّ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ ثُمَّ أَسْلَمُوا وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ وَقَبِلَ النَّبِيُّ مِنْهُمْ .

٨٧ـ مِنْهُمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ، وَكَانَ قَدِ ارْتَدَّ ، وَكَانَ يَكْذِبُ عَلَى النَّبِيِّ وَيَقُولُ : أَنَا كُنْتُ أُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ ثُمَّ

تَابَ وَأَسْلَمَ وَبَايَعَهُ النَّبِيُّ عَلَى ذَلِكَ .

٨٨- وَإِذَا قِيلَ : سَبُّ الصَّحَابَةِ حَقٌّ لِآدَمِيٍّ .

قِيلَ : الْمُسْتَحِلُّ لِسَبِّهِمْ كَالرَّافِضِيِّ يَعْتَقِدُ ذَلِكَ دِينًا كَمَا يَعْتَقِدُ الْكَافِرُ سَبَّ النَّبِيِّ دِينًا ، فَإِذَا تَابَ وَصَارَ يُحِبُّهُمْ وَيُثْنِي عَلَيْهِمْ وَيَدْعُو لَهُمْ مَحَا اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ بِالْحَسَنَاتِ .

٨٩- وَمَنْ ظَلَمَ إِنْسَانًا فَقَذَفَهُ أَوْ اغْتَابَهُ أَوْ شَتَمَهُ ، ثُمَّ تَابَ : قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ ، لَكِنْ إِنْ عَرَفَ الْمَظْلُومَ مَكَّنَهُ مِنْ أَخْذِ حَقِّهِ .

٩٠- وَإِنْ قَذَفَهُ أَوْ اغْتَابَهُ وَلَمْ يَبْلُغْهُ ، فَفِيهِ قَوْلَانِ لِلْعُلَمَاءِ ، هُمَا رِوَايَتَانِ عَنْ أَحْمَدَ : أَصَحُّهُمَا : أَنَّهُ لَا يُعْلِمُهُ أَنِّي اغْتَبْتُكَ . وَقَدْ قِيلَ : بَلْ يُحْسِنُ إِلَيْهِ فِي غَيْبَتِهِ كَمَا أَسَاءَ إِلَيْهِ فِي غَيْبَتِهِ . كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : « كَفَّارَةُ الْغِيبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنْ اغْتَبْتَه » .

٩١- فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ قَدْ سَبَّ الصَّحَابَةَ أَوْ غَيْرَ الصَّحَابَةِ وَتَابَ فَإِنَّهُ يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ بِالدُّعَاءِ لَهُمْ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِقَدْرِ مَا أَسَاءَ إِلَيْهِمْ وَالْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ .

٩٢- كَمَا أَنَّ الْكَافِرَ الَّذِي كَانَ يَسُبُّ النَّبِيَّ وَيَقُولُ إِنَّهُ كَذَّابٌ إِذَا تَابَ وَشَهِدَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ وَصَارَ يُحِبُّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ وَيُصَلِّي عَلَيْهِ : كَانَتْ حَسَنَاتُهُ مَاحِيَةً لِسَيِّئَاتِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى ﴿ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى : ٢٥] .

٩٣- وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [غافر : ١ - ٣] .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

الفهارس العامة

١- فهرس الآيات

٢. فهرس الأحاديث

۞ ۞ ۞ ۞

٣ـ فهرس الآثار

◙ ◙ ◙ ◙

٤. فهرس الأعلام

۞ ۞ ۞ ۞

٥ فهرس الموضوعات

هذا الكتاب

ما أشبه هذا العصر الذي نعيش فيه بالعصر الذي عاش فيه شيخ الإسلام ابن تيمية ..

فالأمة تعيش مأزقا حضاريًّا ، تحالف عليها فيه) التخلف الموروث .. والأمراض الذاتية (مع الهيمنة) الصليبية ـ الصهيونية (، التي تحرس هذا التخلف الموروث والأمراض الذاتية ، لتكسر شوكة الإسلام ، وتستأثر بدنيا المسلمين .

ولأن شيخ الإسلام ابن تيمية كان المجاهد ضد الغزاة ـ الصليبين والتتار ـ كما كان المجتهد لعلاج أمراض الأمة بتجديد فكرها وحياتها .. كانت حياته .. وكان فكره " دليل عمل " لصحوتنا الإسلامية المعاصرة .. شريطة أن نحسن الفقه لهذا الفكر وهذه الحياة ..

وللإسهام في تحقيق هذا المقصد النبيل يصدر هذا الكتاب .

د. محمد عمارة

مكتبة الإمام البخاري

للنشر والتوزيع

مصر - الإسماعيلية - ٤٦ شارع الجمهورية - الثلاثيني .. بعد السنترال

ت ٣٣٤٣٧٤٣ . ٠٦٤ - جوال ٠١٢٣٦٧٦٧٩٧